

لَا ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

رسالة المسجد

السنة 16 - العدد 02 / 1439 هـ - 2018 م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

العدد: 2

المضامين التربوية الروحية للتصوف الإسلامي
قراءة تحليلية للدلالات الاصطلاحية للتصوف الإسلامي.

التنشئة الروحية للطفل الجزائري في الكتابات.

دار الحديث بتلمسان ودورها في نشر القيم الروحية.



رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الدكتور محمد عيسى

وزير الشؤون الدينية والأوقاف

المدير العام مسؤول النشر

رئيس التحرير: الدكتور نور الدين محمدي، مدير التوجيه الديني والتعليم القرآني

مستشار المدير العام: السيد حميد رمضة، المفتش العام.

أمانة التحرير: أ. سميرة مخالدي، أ. بلال سعيدان

إطاران في المديرية الفرعية للتوجيه الديني والنشاط المسجدي

هيئة التحرير

- أ. د. محمد يعيش، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
- أ. د. عمار طالي، باحث جامعي.
- أ. د. عبد الله بوخلخال، باحث جامعي.
- أ. د. مصطفى باجو، باحث جامعي، غرداية.
- د. موسى إسماعيل، باحث جامعي، جامعة الجزائر.
- أ. محمد شيخ، مفتش مركزي.



السنة السادسة عشرة - العدد الثاني - 1439 هـ - 2018 م



المحتويات

- 3 ■ الافتتاحية/ السيد الوزير د. محمد عيسى
-
- ملف العدد:
- 13 المقاصد التربوية للتصوف ودورها في إصلاح المجتمع د/ مباركة حاجي
-
- 29 المضامين التربوية الروحية للتصوف الإسلامي قول معمر
قراءة تحليلية للدلالات الاصطلاحية للتصوف الإسلامي
-
- 63 التنشئة الروحية للطفل الجزائري في الكتابات حيزية كروش
-
- 74 دار الحديث بتلمسان ودورها في نشر القيم الروحية د. راضية بن عربية
-
- 83 الوظيفة التربوية لفكر ابن باديس ودورها د. بن دنيا سعدية
في إحلال السلم
-
- خطبة العدد:
- 117 خطبة عيد الفطر 1439 - 2018



الكلمة الافتتاحية لمعالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف، الدكتور محمد عيسى في ملتقى الأعز الفكري

ودراسات؛ تؤكد كلها أنه مفهوم شامل متعدد الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعقيدية والسياسية! وليس أدل على ذلك من التعريفات الكثيرة التي وضعت لهذا المصطلح ولعل أكثرها شمولية ودقة ذلك التعريف الذي يرى بأن الأمن الفكري هو الانسجام القائم بين ما يؤمن به المجتمع وبين ما يعيشه وما يتطلع إليه! ومن الواضح أن هذا التعريف ينطوي - كما تلاحظون - على العديد من المعاني والحقائق، وأولى هذه الحقائق استناد الأمن الفكري إلى مرجعية عقيدية ثقافية واحدة يؤمن بها المجتمع على تعدد نسيجه الثقافي والسياسي والاجتماعي؛ تتفرع عن هذه المرجعية منظومة قيم يقدها الجميع

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
آيتها السيدات الفضليات:
أيها السادة الأفاضل:
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته؛

يسعدني أن أقف أمامكم لأحييكم وأرحب بكم جميعا وأحضر معكم فعاليات هذا الملتقى المبارك إن شاء الله الذي يتمحض لدراسة موضوع هام ألا وهو الأمن الفكري؛ هذا المصطلح الذي أصبح يحتل - كما تعلمون - مكانة معتبرة في الفضاء السياسي والثقافي للمجتمعات الحديثة؛ فقد عقدت له ملتقيات ووضعت فيه بحوث

أساسي لضمان هذا الأمن الفكري؛ لأن المجتمع الذي تصطدم مشاريعه عموماً بمنظومته الفكرية والأخلاقية التي تثمرها مرجعيته العقيدية، من شأنه أن يعرف توترات وهزات تؤدي إلى الاغتراب عن الذات، وإلى التطرف والعنف!

هذا، باختصار شديد، ما يقوله الفكر الإنساني الوضعي بخصوص هذه القضية ذات الأهمية البالغة في حياة المجتمع العصري، فما هو منظور الإسلام لهذه المسألة، باعتباره منهاجاً ربانياً شاملاً كاملاً لحياة الأفراد والجماعات والأمم؟!

كلنا يعلم - أيها السادة الأفاضل - أن الإسلام جاء أصلاً ليحافظ على الكليات الخمس، وأولها العقيدة؛ الدين، ومعنى ذلك بالنسبة لمجتمع يدين بالإسلام أن اضطراب العقيدة هو اضطراب لكل أسسه التي يستند إليها أمنه بشكل عام، وأمنه الفكري بشكل خاص!

ويجسدها الجميع في السلوك الفردي والجماعي؛ مما يحقق التماسك والوحدة؛ لهذا المجتمع الذي يعيش عند ذلك بشكل صحي التعدد والتميز في إطار هذه الوحدة الجامعة؛ التي تقيه من كافة أنواع الصراع العرقي أو الطائفي أو المذهبي، ومن كل ألوان التعصب والتطرف والإكراه والعنف؛ وهذا ما يجعل تحقيق هذا الأمن الفكري مسؤولية المجتمع بكل مؤسساته التي تساهم في تشكيل الذهنية وصناعة الرأي العام وبث الوعي والحس المدني وتوجيه السلوك الفردي والجماعي؛ لأن الأمن الفكري هو أن يحس كل فرد في المجتمع بأن منظومته الأخلاقية والقانونية والفكرية التي تنظم علاقاته بمجتمعه وبدولته هي منظومة متماسكة متناسقة غير مهزوزة ولا مضطربة؛ ومعنى هذا كله أن صيانة مختلف مؤسسات المجتمع من الانحراف، بسبب تعدد مصادر التلقي، أو تعدد المرجعيات هو أمر

صل الله عليه وسلم عن الابتداع في الدين والإفتاء بغير علم، لأن ذلك معناه سواد الفوضى في أمور العقيدة وانقياده للأمزجة والأهواء!

فالمرجعية الدينية هي الأساس إذن؛ فنحن نعلم أن هناك شرطين أساسيين لا تقوم حياة مجتمع بدونهما، وهما الكفاية من العيش

والأمن والاستقرار؛ وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم على لسان خليل الرحمن عليه السلام عندما دعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 125]؛ غير

أن القرآن الكريم الذي يفسر بعضه بعضا يخبرنا في آية أخرى أن هذين الشرطين لا يكونان شيئا إذا لم يستندا إلى عقيدة واحدة موحدة، لذلك ربطهما

بها مباشرة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ ۝۳﴾ [الذِّمَّةِ ۝۳] ﴿أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝۴﴾ [قريش: 3 - 4] .

و اضطراب عقيدة المجتمع يبدأ بالطعن في وحدة مرجعيتها أو بالاستهانة بها؛ أي الاستهانة بوحدة مصدر التلقي كما يسميها البعض اليوم، بمعنى أنه عندما تتعدد مصادر التلقي في مجال العقيدة بالنسبة للمجتمع فإن ذلك مؤشرا على الاضطراب والتصدع.

و لعل أحسن دليل نسوقه على أهمية الحفاظ على المرجعية الدينية الواحدة الموحدة هو ما جاء في الأثر من أن رسول الله صل الله عليه وسلم غضب حين رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي يده قطعة من التوراة، فقال له: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟! والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي⁽¹⁾ وهذا ما يجعلنا ندرك سبب نهى رسول الله رسول الله

1- أخرجه أحمد في «مسنده» (ص: 387/ 3)، وكذا أخرجه الدارمي (ص: 115/ 1)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ص: 2/ 5)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص: 42/ 2).

ما يساهم في تحقيق الأمن عموماً
ويحافظ عليه بمختلف هذه الأبعاد؛
عندما تحت على تعزيز الوحدة عن
طريق التكافل والتضامن والتراحم
والتعاون على البر والتقوى والتزام
الجماعة؛ وما إلى ذلك!

أيها السادة الأفاضل:

إن الأمن الفكري في مجتمع إسلامي
يعني كما قلنا ارتباط هذا الفكر
المجتهد المبدع بالمرجعية الدينية لهذا
المجتمع، وانطلاقاً من هذا نقول إن
أولى علامات اضطراب هذا الأمن
الفكري عندما يبتعد عن مرجعية
الاعتدال هو بروز ظاهرة التطرف
الديني والفكر التكفيري الناتج عن
التعصب وإلغاء الآخر؛ هذا الفكر
القائم على التأويل الباطل لنصوص
الشريعة ولوقائع التاريخ الإسلامي
ولنهج السلف الصالح!

و هذا الفكر المتطرف المتصلب
ينتعش في فضاء الجهل الذي يحرم من

فالأمن نعمة كبرى وضرورة، بدونها
لا تستقيم حياة ولا يتحقق عمران ولا
تبنى حضارة، ومن الطبيعي أن يظل
مطلباً تسعى إلى تحقيقه كل المجتمعات
البشرية؛ بل إن القرآن الكريم يخبرنا
أن الأمن نعمة حتى في الآخرة يختص
الله بها عباده الفائزين يومئذ برضاه
فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا
وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ - اٰمِنُوْنَ﴾ [النمل:
91]

فليس هناك مجتمع اليوم لا يعلم
أنه لا حياة من دون أمن غذائي وصحي
 واجتماعي، وهو ما أشار إليه حديث
رسول الله رسول الله صل الله عليه
وسلم «من أصبح آمناً في سربه معافى
في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت
له الدنيا»⁽²⁾.

فمن الطبيعي أن يعنى الإسلام بهذا
المجال الحيوي ويشرع من العبادات
2 - رواه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم/300)
والترمذي في «السنن» (رقم/2346) وقال :
حسن غريب .

ولقد عرفت الجزائر في هذا المجال أفسى امتحان، مما جعل خبرتها فيه من أوسع الخبرات وتجربتها من أغنى التجارب بالنظر إلى ما عانتها من ويلات هذا الفكر الديني المتطرف؛ وما أثمره من إرهاب وحشي فاق كل تصور!

والذي يهمننا هنا بالدرجة الأولى هو أن هذا الفكر المنظر للإرهاب يزعم أن مرجعيته إسلامية؛ وإذا استطاع أن يمتد زمنا في فضائنا فإن لذلك أسبابا عديدة ما تزال محل اهتمام الباحثين المختصين في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية وغيرها؛ لكن الملاحظ - في المجال الديني الذي يعيننا نحن هنا - أن الضعف في بداية مواجهة ظاهرة الإرهاب يعود حسب العديد من الباحثين إلى اكتفاء علمائنا بالإسراع إلى التبرأ منه وتبرئة الإسلام من أعماله الوحشية، دون تعرية كاملة لطبيعة هذا الفكر الدخيل ودون

التمييز بين الخطاب الديني المتطرف الخاطئ وبين الخطاب الديني المعتدل الصحيح.

كما أن هذا الفكر أحادي النظرة قائم على رفض المخالف ولو كان هذا الخلاف في مسألة فرعية لها سندها الفقهي؛ لأنه يرى في هذا المخالف خطرا على الدين تجب محاربته، بل والتقرب إلى الله سبحانه بتخليص المجتمع منه؛ هذا في المسائل الفقهية الفرعية فما بالكم بمخالفته في النظر إلى القضايا المدنية المعاصرة، كالديموقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة وما إلى ذلك!

و بناء على ذلك كله يتضح لنا أن معالجة الفكر المتطرف يبدأ بمعالجة ثقافة التطرف نفسها، ثقافة النظرة المتشددة إلى الدين وإلى التراث وإلى التاريخ وإلى الآخر؛ ولا سبيل إلى ذلك إلا بتفكيك أسانيد هذا الفكر المنحرف الخطير وتفنيد مرجعيته وإبطال حججه!

الشديد الذي سيلقاه من يفسد في الأرض ويروع الأمنين ويقتل النفس التي حرم الله ويزعزع الاستقرار ويشل حركة الحياة، وكان من الحكمة، بل من الواجب أن ينتهجوا - بموازاة ذلك - أسلوب الاستمالة والتأثير لإنقاذ المغرر بهم وكسبهم بعد إقناعهم بأنهم في ضلال مبين!

إن اتقاء شر هؤلاء وحماية المجتمع منهم أمر واجب، لأنه حفظ للنفس وللنظام العام ولحياة المجتمع، لكن المخدوعين من هموا المغرر بهم لهم على علمائهم حق النصيح والوعظ، فهم وحدهم القادرون على إعادتهم إلى رشدهم، وإقناعهم، بالحجة والبرهان، بأن ما يعتقدونه إيماناً وجهاداً والتزاماً دينياً إنما هو كفر وفسوق عن أمر الله واعتداء على حدوده وحرماته، ومناقضة لمقاصد الشريعة وانحراف عن قيمه ومبادئه!

تحليل عميق لبواعثه، وفضح كامل لهشاشة أسانيده وتفنيده مرجعيته كما قلنا؛ من ذلك على سبيل المثال فقط توضيح مفاهيم الجهاد والاستشهاد والحاكمية والتمكين للدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومفهوم الولاء والولاية والأمة والآخر، وما إلى ذلك؛ لأن هذا الفكر التكفيري المتطرف يتغذى من إشاعة الفهم الخاطئة للدين والتأويلات الباطلة لمقاصد شريعته! ويجعل من ذلك كله سنده الشرعي ومرجعيته الدينية، ليخدع بها من لا يملك العلم الكافي للرد عليه وفضحه ورفضه! و بالفعل، فقد كان الخطاب الديني الانفعالي العاطفي هو الذي ساد أوساط الوعاظ والدعاة وعلماء الدين عموماً، ممن تصدوا لهذه الظاهرة بإيمان وشجاعة، وتحملوا مسؤوليتهم في تبرئة الدين منها، لكن معظمهم ركز على التكفير والتفسيق وبيان العقاب

أيها السادة الأفاضل:

إنه مهما تكن نتائج البحوث والدراسات التي ما فتئت تلقي مزيدا من الأضواء على ظاهرة التطرف الديني والعنف والإرهاب في بلادنا، ومحاولة الكشف عن دواعي بروزها، فإن الذي لا شك فيه أن هذه الظاهرة غريبة عن المجتمع الجزائري، وأن مرجعيتها الدينية المزعومة وسنداتها ومرتكزاتها دخيلة وافدة ليس لها أي امتداد في تاريخ الجزائر أو تراثها الفقهي المتراكم عبر العصور!

و إذن فإن من الحقائق الكبرى التي ينتظر من هذا الملتقى العلمي المبارك أن يجليها بوضوح أن للمغرب العربي عامة وليس للجزائر وحدها، في مرجعيته الدينية المشتركة، وكذا في خصوصيته المذهبية في العقيدة والفقه والسلوك حصانة ذاتية من الغلو والتطرف والعنف والإرهاب؛ يضاف إلى ذلك كله ما رافق تدينه من

اختيارات أساسية في قراءة القرآن الكريم وتفسيره وفي رواية السنة النبوية الشريفة وشرحها، وما اجتهد المجتمع العلمي في التأسيس لها؛ كقاعدة استقرار العمل وفقه النوازل والفقه المقاصدي واعتبار المآلات!

فقد وضع علماء المغرب العربي، الذين خلفوا الفقهاء العشرة الذين بعثهم عمر بن العزيز ليفقهوا أهل هذه البلاد في الدين، مبادئ وأسساً كبرى في الممارسة الدينية اتسمت دائما بالاعتدال والوسطية في العقيدة والفقه والسلوك، فكانت عبر الأجيال صمام أمان يحفظ من الانحراف عن الوسطية والغلو والتطرف والعنف!.

فإلى هذه العوامل جميعا يعود سر تماسك المجتمع الجزائري واستقراره فكان على مر الأجيال والعصور مثالا للمجتمع الإسلامي القائم على تنوع النسيج الثقافي واللغوي والاجتماعي في إطار وحدة دينية ووطنية جامعة، لم

و الإشكالية التي يطرحها هذا الملتقى للدراسة والبحث، هي أن هذا النفوذ العلمي الذي كان للعلماء قد انحسر لأسباب وعوامل موضوعية عديدة متكاملة، وخلف ذلك فراغا أغرى المتحدثين باسم الدين ممن ليسوا مؤهلين علميا لذلك، باستيراد مناهج في ممارسته هي أصلح للبيئات التي نشأت فيها وأكثر توافقا وانسجاما مع طباع المجتمعات التي أفتاها علماؤها بمقتضاها؛ بل إن الأمر قد وصل ببعضهم إلى الحد الذي أحيوا فيه من بطون الكتب فقها لم يعد صالحا للعصر الذي نعيشه وللمنطق الذي تفرضه طبيعة الحياة فيه؛ وهكذا شاعت فتاوى مهجورة الباعث إلى إحيائها هو حب التميز والصدارة والزعامة؛ وكان من الطبيعي، بل الحتمي أن تتمخض هذه الأفكار الدخيلة عن سلوك متطرف في التكفير والتفسيق وعن ظاهرة

يعرف معها أي لون من ألوان الصراع المذهبي أو الطائفي أو اللغوي، ناهيكم من التطرف الديني والعنف والإرهاب. ولقد هيا الله له من العلماء من تعهد هذه القيم والأسس والمبادئ، ممن تخرجهم الزوايا العامرة المنتشرة في كافة ربوع الوطن، والتي ظلت منارات للهدى ومراكز للإشعاع العلمي والروحي المستنير بكتاب الله وسنة رسول الله صل الله عليه وسلم وتراث السلف الصالح، أولئك العلماء الذين كانوا محل تقدير المشرق والمغرب على حد سواء لأنهم كانوا حجة في شتى علوم الشريعة؛ مما جعل مجتمعهم يقدرهم حق قدرهم ويزداد بهم ثقة واعتازا، فظل هؤلاء العلماء على مر الأجيال، رقباء على المجتمع الجزائري يصححون له مساره في التدين نحو الاعتدال والوسطية، ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ ويربطونه بمرجعياته الدينية والثقافية.

والإحسان إلى الخلق، فتجلى ذلك كله في السلوك الفردي والجماعي للمجتمع الجزائري؛ ليس فقط في حالات اليسر والاستقرار والسلم بل حتى في حالات الاضطراب والحرب التي تمتحن فيها معادن الأفراد والمجتمعات؛ وتبرز ما تنطوي عليه من الفضائل أو الرذائل؛ ولعل أقرب مثال لذلك في تاريخ الجزائر الحديث، مواقف الأمير عبد القادر الإنسانية التي بهرت أحرار العالم، سواء في حسن معاملته للأسرى أو في احترام المعاهدات؛ وكذلك ثورة نوفمبر التي قدمت أروع الأمثلة للأخلاق الإنسانية الرفيعة؛ لأن المرجعية في الحالتين، هي سيرة المبعوث رحمة للعالمين صل الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، رضي الله عنهم أجمعين، الذين كانوا يوصون جيوشهم بألا يقطعوا شجرة ولا يحرقوا زرعاً ولا يروعوا عابداً آمناً في صومعته، فكيف بإزهاق نفس بغير حق؟!

الإرهاب الذي استباح الدماء واستحل انتهاك الأعراض والفساد في الأرض. أيها السادة الأفاضل:

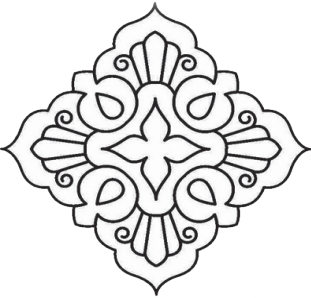
إن من الحقائق الكبرى التي ينتظر من هذا الملتقى أن يبرزها كذلك هي أن الفكر التكفيري الإرهابي دخیل على المجتمع الجزائري، كما أسلفت؛ غريب عنه وافد عليه، ليس له أي سند في مرجعيته الدينية والثقافية والحضارية، وليس له أي امتداد في تاريخه القديم أو الحديث، أو أي حضور في تراثه الفقهي المتراكم عبر الأجيال والعصور؛ فالجزائر التي احتضنت الإسلام منذ الخطوات الأولى للرسالة المحمدية، عاشته عقيدة وأحكاماً وقيماً ومبادئ وآداباً، في عقد الأشعري ومذهب الإمام مالك والتصوف السني الصحيح على طريقة الجنيد السالك مما جعلها تجسد مدرسة الاعتدال والوسطية التي مكنت لفضائل الرفق واللين والتسامح والحلم والتعفف

تخريج الأئمة والمرشدين الدينيين، وعن المشاركة الإعلامية في القنوات الفضائية المتخصصة وفي الصحف المكتوبة والإذاعة، كما يرسم معالم لدور النشر ومنابر مناقشة الأفكار وغير ذلك مما هو من تجارب الأمم الأخرى أو من هدي التفكير العلمي المنهجي.

هذا؛ وإني إذ أجدد ترحيبي بكم جميعاً والإعراب عن سعادتي بوجودي بينكم، أسأل المولى تعالى أن يكلل جهودكم بالنجاح، ليحقق هذا الملتقى المبارك الأهداف المنشود من تنظيمه.

والسلام عليكم

ورحمة الله تعالى وبركاته



ولكن أين الإرهاب الأعنى من هذه الفضائل السامية والأخلاق الرفيعة؟! وأية علاقة تربطه بهذه الذات السامية النبيلة؟

و كيف تكون له أدنى صلة بذلك كله وهو متنكر أصلاً لأهداف شهداء الجرائد ومجاهديها ولتضحيات المجتمع الجزائري برمته طوال قرن وثلث القرن، من أجل استرجاع عزته وكرامته وسيادته وإقامة دولته على مبادئ الإسلام، الذي به توحد وبه صمد وبه جاهد وبه انتصر؟!

أيها السادة الأفاضل:

أود أن أشير في الختام إلى أن أحد الأهداف الكبرى المنشودة من هذا الملتقى المبارك هو تقديم اقتراحات عملية من شأنها أن تحصن المجتمع من ظاهرة التكفير، بإبطال مذهبها الدخيلة، ومن ظاهرة التطرف الفكري والسلوكي؛ وكذا التأسيس لتصور متكامل عن مؤسسات الفتوى ومعاهد